(١)

رمضان شهر الجود والكرم والانتصارات

الحمد لله رب العالمين، القائلِ في كتابه الكريم: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، القَائِل في حديثه الشريف : (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ : أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

وبعـــــد :

فإن الدين الإسلامي دين القيم والمثل والأخلاق الراقية ، ومن هذه الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف وحثَّ على التخلق بها : خلق الكرم ، فهو خُلق من أخلاق المرسلين ، وصفة من صفات الصالحين ، به تسُود المحبَّة والمودَّة والإخاء بين الناس ، فيثمر ذلك مجتمعًا قويًّا متماسكًا يقوم على التكافل والعطاء ، ويهيمن عليه الإخلاص والوفاء ، ويتحقق فيه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) .

والكرم صفة من صفات الحق تبارك وتعالى ، واسم من أسمائه الحسنى ، فسبحانه هو الجواد المعطي الذي لا يُغلق بابه ، ولا ينفد عطاؤه ، ولا يرد سائله ، ولا يخيب آمله ، يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ...) ، وفي الحديث القدسي : (...يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي

أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، .... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ) .

ولقد بين القرآن الكريم أن الكرم من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، فقال تعالى في قصة إبراهيم (عليه السلام) : {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} ، ولعظم كرمه وجوده لُقب (عليه السلام) بأبي الضيفان .

ولقد حثنا رب العزة (عز وجل) أن يُكرم بعضنا بعضًا حتى نكون أهلًا لكرمه ومزيد فضله ، حيث يقول سبحانه : {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، ويقول جل شأنه : {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ، ويقول جل وعلا : {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ}، ويقول تعالى : {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَنْفَقْ ، يُنْفِقِ اللَّهُ عَلَيْكَ) .

ولقد كان شهر رمضان ولا زال شهر الجود والكرم والسخاء والعطاء والتكافل ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) ، قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ) .

وإذا كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) قد حث على إطعام الطعام في كل حال فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا باللَّيْل وَالنَّاسُ نِيامٌ ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ) ، ورغَّب (صلى الله عليه وسلم) في إكرام الضيف في كل وقت فقال : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ).

فقد بيَّن (صلى الله عليه وسلم) أن إطعام الطعام ، وإكرام الضيف في هذا الشهر أعلى أجرًا ، وأعظم ثوابًا ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ) ، وهذا الأجر يبلغه كل من فطَّر صائمًا غنيًّا أو فقيرًا قريبًا أو صديقًا ، أو غير ذلك ، فقوله (صلى الله عليه وسلم) : "صائمًا" جاءت نكرة لتفيد العموم والشمول ، فإلى جانب إطعام الفقراء وسد حاجتهم هناك مقصد شرعي آخر يُفهم من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) و هو تعميق أواصر الترابط بين الناس في شهر البر والصلة ، بالاجتماع على مائدة الأسرة ، مائدة العائلة، مائدة الأصدقاء ، مائدة الزملاء .

كما أن المعنى المفهوم من الحديث يشمل كل من فطَّر صائمًا حقيقةً بأن دعاه إلى الإفطار أو وفّر له طعامًا ، أو حُكمًا بأن تصدق عليه أو أهداه ما يفطر عليه أو يعد به إفطاره ، فالغاية من الحديث أمران : الأول ، التكافل بألا يكون بيننا في الشهر

الكريم جائع ولا محتاج ولا محروم ، والآخر حدوث الألفة وتقوية الروابط الاجتماعية بين الناس بصفة عامة وفِي الشهر الفضيل بصفة خاصة .

لقد ضرب لنا الصحابة (رضوان الله عليهم) أروع الأمثلة في البذل والعطاء الجود والكرم بالمال والنفس ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) خاصة وقت الشدائد والمحن ؛ تحقيقًا للتكافل والتعاون والتراحم ، فهؤلاء الأشعريين يمتدح النبي (صلى الله عليه وسلم) ما كان بينهم من تكافل وتعاون فيقول : (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ (بِيْرُحَاءَ) وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قال أنس (رضي الله عنه) : فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية : {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أنزل عليك : {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ (بِيْرُحَاءَ) وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تعالى فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أراك الله ، فَقَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : بَخٍ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وإني أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ ، فقَالَ أبو طلحة: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : أُهْدِي لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَأْسُ شَاةٍ ، فَقَالَ : (إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا) ، قَالَ : فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ وَاحِدًا إِلَى آخَرَ فتَدَاوَلَهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى

رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ ، فَنَزَلَتْ : {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ، فكانوا (رضي الله عنهم) يتنافسون في الجود والكرَم ، ويتسابقون إلى البذل والعطاء ؛ استجابة لأوامر الله (عز وجل) ، وأوامر نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، ورغبةً ورجاءً فيما أعده الله (عز وجل) لأهل الجود والكرم.

فما أحوجنا إلى التخلق بهذا الخُلق العظيم ، بعيدًا عن كلِّ مظاهر البخل والشح والأنانية ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الجود والكرم بالنفس من أعلى وأرقى صور الجود ، فهو صفة الكرماء وشيمة النبلاء ، وهو أرقى درجات الإيثار ، وأنفس أنواع الجود والكرم ، يقول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وإن من أعظم صور الكرم بالنفس ما يبذله الجندي المرابط على الحدود يدافع عن وطنه وأرضه وأهله وعرضه صابرًا محتسبًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :

(رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ما اغْبَرَّتْ قدَما عَبْدٍ في سبيلِ اللَّه فتَمسَّه النَّارُ ، على أن جود الإنسان بنفسه يضمن له الفلاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

ولا شك أن رمضان هو شهر الانتصارات ، ففي هذا الشهر الكريم كانت غزوة بدر الكبرى ، حيث أكرم الله (عزّ وجلّ) المؤمنين بنصر من عنده على قلّة عددهم وعدتهم بالقياس إلى أعدائهم ، يقول الحق سبحانه : {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

وفي شهر رمضان كان **فتح مكة** في السنة الثامنة من الهجرة ، وفي هذا الفتح ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع المثل في مكارم الأخلاق وخاصة في العفو والصفح والتسامح والرحمة ، حيث جمع (صلى الله عليه وسلم) من آذوه وأخرجوه وتآمروا على قتله ، ثم قال لهم : (مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟) قَالُوا : خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، قَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) .

وفي شهر رمضان كانت حرب العاشر من رمضان ١٣٩٧هـ ، السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، حرب العزة والكرامة ، حيث وفق الله (عز وجل) قواتنا المسلحة الباسلة في تحطيم أسطورة جيش العدو الذي كان يزعم أنه لا يقهر ، ووجهت إليه

ضربة أفقدته صوابه ، وكبحت كبرياءه ، وأجبرت العالم كله على احترام مصر وقواتها المسلحة ، وكان شعار الجندي المقاتل : الله أكبر ، مع الصيام والقيام والقرآن والدعاء الصادق ، فكان النصر المبين ، وطرد المعتدين ، وهنا نذكر بما قدمته قواتنا المسلحة ومصرنا الغالية من شهداء عظام رووا أرض الوطن بدمائهم دفاعًا عن الدين والوطن والأرض والعرض .

وما زالت قواتنا المسلحة الباسلة صمام أمان لمصرنا الغالية ، ولأمتنا العربية والإسلامية ، ولا زال رجالها الأوفياء يخوضون حربًا شريفةً في مواجهة قوى الإرهاب والشر ، ويقدمون كل يوم تضحيات جديدة في سبيل الدفاع عن أمن الوطن وأمانه، وعزته وكرامته ، ويحرصون على الشهادة حرص غيرهم على الحياة ، وهم على استعداد تام للتضحية بالغالي والنفيس دفاعًا عن تراب هذا الوطن ، وقطع يد أي عابث يريد أن يعبث بأمن الوطن أو استقراره ، فهي على مرِّ التاريخ درع الأمة وسيفها ، والتاريخ خير شاهد .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها